كل جبال الارض مها تعلو فاطا لاخصبك نسلُ
قد قدّستك الانبيا من قبلُ وقد مشتْ قدمًا اليك الرسلُ
تستنزلُ الوحيَ من الرحمانِ

سبحان من أرساك يا لبنانُ فليس زوالٌ ولا بركانُ
فيك ولا غيضٌ ولا طوفانُ بل كلُّ ما فيك هو الامانُ
وطيّب الآمال والاماني

وقد رثاهُ الشاعر الرقيق الياس افندي فيّاض بقصيدة مؤثرة اولُها:

لا تبكِ فاليومَ بدء حياتهِ انَّ الاديبَ حياتُهُ بمماتهِ

(له بقيّة)

لمحة تاريخية

في دير سيدة المعونات (او البنات)

مركز رئاسة الرهبانية اللبنانية المارونية العامة

بقلم حضرة الاب بطرس ساره الراهب اللبناني

توطئة

في مقالتي عن رحلة حضرة رئيسنا العام الاب المفضال اغناطيوس التوري الى رومية (المشرق ٢٤ [١٩٢٦] : ٩٠) وعدت القراء بلمحة تاريخية عن دير سيدة المعونات مركز الرئاسة العامة الحالي وها انا قائم بوعدي فاقسم كلامي الى ثلاثة اقسام أنظرُ في الاول الى تاريخ الدير واصلهِ وتسميتهِ وفي الثاني الى كونهِ مركزًا للرئاسة العامة. وفي الثالث الى المدرسة الرهبانية المقامة فيهِ

١ وصف دير سيّدة المعونات وما فيهِ

على رابية لا تعلو عن سطح البحر اكثر من مئة وخمسين مترًا قام دير سيدة المعونات بين واديَين من جانبيه الشمالي والجنوبي كانهُ النسر يحدج بناظريه بحر الروم

ويطلّ على مدينة الآثار الفينيقية جبيل امّ المدائن الساحلية التي قدّمت وما زالت تقدّم من الآثار الثمينة الى المتحف اللبناني ما يندر مثله ويُعدّ من اثمن التحف واعظمها قيمةً وقدرًا عند العلماء مما يدلّ على عظمة بيبلوس وفخامة بناياتها وتقادُم عهدها وعزّ ملوكها ورابطتهم الشديدة مع ـلالات فراعنة مصر (المشرق ٢١ [١٩٢٣] : ٣٧٩و٩٥٩ ثم ٢٢[١٩٢٤]: ٨١ــ٨٦). ينظر ذلك الدير الى تلك المدينة بعين كسيرة آسفاً على مجدها الغابر ذاكرًا ما نزل بها من نوازل الايام ونكبات الحروب وزلازل الارض التي دفنت عزّها طيّ الثرى

وكيفما اتّجه الناظر من تلك الصومعة رأى من حولها الآثار والمعابد القديمة المنبئة بما كانت عليه مدينة الفينيقيين وضواحيها من الرقي والحضارة وقد تحوّلت الى معابد ومزارات مسيحية. فالى الجهة القبلية ترى كنيسة القديس سمعان العمودي وهي عبارة عن معبد صغير تعلو سطحه قبّةٌ بيضاء مستديرة الشكل تحيط بعمود ضخم في داخلها علوه نحو مترين ونصف قام في وسط الكنيسة ذكرًا لعمود القديس سمعان الشهير بالعمودي (١ ولعلّهُ بقيّة من آثار هيكل قديم. وفي القرب من تلك الكنيسة معبد آخر للسيدة في غربيّه آثار قبو بحجارة يقال انه من بقايا دير على اسم القديس توما الرسول. وفي جانبه ايضاً معبد للسيدة تسمّيه العامة «سيدة المناخير» كانها كانت تشفي من علل الانف. وغير بعيد عن تلك البقعة معبد لمار شربل قائم في مغارة في الصخر فيها مذبح للقديس المذكور (٢ ومن هناك على رمية حجر تجد كنيسة قديمة في هضبة من الارض على اسم القديس نوهرا (٣

وفي سفح الوادي غربي الدير معبد للسيدة تسمّيه العامة سيدة الخوفة. ومنه الى الغرب ايضاً في راس سهل جبيل كنيسة للقديس جرجس (٤ يجتمع فيها ابناء رعية السهل فيقوم بخدمتهم احد آباء الدير. والى الجهة القبلية من الدير مزرعة من املاكه سابقاً تسمّى قصروبا فيها آثار ثمينة على ما يقدّره بعض العلماء الاثريين مؤخّرًا ولعلّ الحكومة تجري فيها الحفريّات. والى الجهة الشمالية من الدير في موضع يسمّى كفر صيّادا اي حقل

١) اطلب ترجمتهُ في كتاب اولياء الله في لبنان (ص ٣٨)
٢) فيه (ص ٣٩)
٣) فيه (ص ٤١) ٤) فيه (ص ١٧)

الصياد وفي كرم الدير كنيسة القديسة تقلا(١ وقبالتها على رابية اخرى كنيسة على اسم النبي الياس. ومنه الى الجهة البحرية معبد يسمّى ارطاميس ذكراً لالهة وثنية تحوّل الى معبد للسيدة لم يبقَ سوى اثر منه يطلق الناس عليه اسم سيدة ارطاميس . ومنه الى الجهة الشمالية الغربية عين ماء عشتروايل اي عشتروت الهة الزهرة وهي مشهورة بعذوبة مياهها المعدنية الصحّيّة . والى الجهة الشرقية من الدير على بعد عشر دقائق موضع يسمى كفرقوق اي حقل الجرّة المكنّى بها عن حقل الفخّار يوجد آثار معبدين من عهد الصليبيين على ما نظن الواحد منهما على اسم مار جرجس والآخر للسيدة يسمّى بسيدة كفرقوق

فهذه الآثار كلها ترجّح قولَ بعض العلماء الزاعمين ان مدينة جبيل كانت تمتد من شاطئ البحر الى السهل الفسيح حتى الروابي المحاذية للدير كما ذكرنا . والعامّة ينقلون بالتقليد ان المدينة كانت تمتد الى الشرق على بُعد نحو ساعة ونصف من الساحل الى موضع يسمى الآن (بسوق الغربي) لانه على ما يقال كان مختصاً ببيع الفراء . او الى محل آخر يسمى (رأس اسطا) يزعمون انها تصحيف رأس لوسطرا وانهُ يُكنى به عن بعض اسماء جبيل

اما الدير القائم على احدى تلك الروابي كما قدّمنا فنظنّ ان بناءه كان على أنقاض تقادَمَ عهدُها وما زال فيه الى الجهة الجنوبية قسم من قبو قديم نُتحت فيه «مرامي» اي نوافذ الى البحر . ومما يدلُّ على قِدَمِهِ كنيسته القديمة القائم الآن الى جانبها جناحه الشمالي فانها كانت مبنية على الصخر عرضها نحو عشرة اذرع وطولها خمسة عشر ذراعاً بهيئة ثلاثة اقبية متلاصقة تسمّى بعرف البنائين قصبات ينتهي كلٌّ منها بمذبح في حنيّة . وقد رأيت على شاكلتها عدة كنائس لبنانية قديمة منها كنيسة القديس انطونيوس في تنورين التحتا في وادي تنورين وكنيسة مار سركيس والسيدة ومار سمعان في الكفور وكنيسة القديس جرجس القديمة في احدن الملاصقة للكنيسة الحالية الكبرى فانك ترى في هذه الكنائس حتى الآن صوراً شرقية رُسمت على جدرانها وحناياها الداخلية قد طمستها يدُ المعادين (٢ . وتاريخ الدير الذي نحن في صدده قبل

١) فيه ايضاً (ص ٤٩)

٢) راجع مقالة الاب لامنس في كنائس لبنان القديمة (تسريح الابصار ١ : ٨١)

استلام الرهبانية انه لا يعرف منه شيء فهو كغيره من الآثار اللبنانية التي جارت عليها يد الدهر وتركت تاريخها مغلقاً

اما تسميته بدير البنات فلها تآويل مختلفة يتداولها الناس نعرضها على سبيل التفكهة فيزعم البعض انَّ بنات جبيل الفينيقيَّات كنَّ في ذهابهنَّ من بيبلوس الى زيارة الإلهة الزهرة في هيكل افقا يجملنَّ ذلك الموضع مرحلةً يقمنَ فيها الالعاب والاغاني فدعي المكان باسمهنَّ. ويزعم غيرهم ان احد امراء جبيل المدعو يوحنا ويسميه العامة الملك يوحنا (وربما كان احد الامراء الصليبيين) قد انشأ ذلك المكان مصيفاً لبناته وسماه دار البنات. ويقول غيرهم ايضاً ان احد الامراء المتأخرين قد حوَّل تلك الدار الى دير اسكن فيه بناته البتولات على طريقة الراهبات العابدات فدعي الدير بدير البنات. لكنَّ كل هذه التآويل لا تتجاوز حد التخمين لان لا مستند لها سوى التقليد الذي تتناقلهُ العامَّة ولسنا نعرف ان في لبنان ديراً غير هذا قد اطلقت عليه هذه التسمية. وقد سألت حضرة الاب العالم البحَّاثة لامنس اليسوعي الواقف على اكثر الآثار اللبنانية رأيه في هذه التسمية فقال انه لا يعرف شيئاً عن اصلها انما يعلم ان اديراً كثيرة في جهات الطوبين وغيرها تسمى بهذا الاسم

وما زال هذا الدير معروفاً حتى الان عند العامَّة بدير البنات وقد كثرت تسميته بدير سيدة المعونات على السنة الرهبان ولاسيما بعد تعيينه مركزاً للرئاسة العامة اذ صارت الرسائل الرسمية تصدر عنه وتأتيه بهذا العنوان: جبيل — دير سيدة المعونات

والاديار المخصصة للسيدة العذراء كثيرة في الرهبانية منها دير سيدة الانتقال في طاميش ومشموشة وميفوق ودير سيدة النصر في نسيه وسيدة النجاة في بصرما (الكوره) ومدرسة سيدة النجاة في بعبدا

وقد تسلَّمت الرهبانية بعد القسمة سنة ١٧٧٠ من يد الشيخ منصور الدحداح (١ الذي كان وكلهُ اليه الامير يوسف الشهابي ليسكن فيه الرهبان الذين يراهم مناسبين من اية رهبنة كانوا كما هو منطوق حجة التسليم من الامير يوسف الى الشيخ منصور

١) هو ابن يوسف الدحداح ابن المحوري جرجس توفي في عرامون سنة ١٧٨٠ وكان من وجهاء البلاد وعمادًا في عيشه (راجع تاريخ سورية جلد ٨ عد ١٠٦٠

المشار اليه فسلّم الدير الى رئيس الرهبانية العام الاب مرقس الكفاعي (١ بموجب صك لا يزال محفوظاً في خزانة الدير وهذه حرفيتهُ :

وجهُ تحرير الاحرف :

« هو اننا قد سلمنا دير البنات بمرجب تسليمنا بحجة من سعادة افندينا الامير يوسف المحترم حافظ هذه الحجة حضرة ابونا القس مرقس رئيس عام رهبنة البلدية اللبنانية المحروسة بالله ليسكن رهبانه بالدير المذكور. يجدّد ويعمّر ويكون ملكهم مستقيم لا يعارضهم معارض حسب مأمورية سعادته. وقد ترجينا حضرة الاب المذكور انه دائماً يشركنا بدعاء ودعاء رهبانهِ لنا ولوالدينا. وايضاً ترجيناه اذا احدًا (كذا) من عيلتنا طلب الدخول برهبنتهِ لا يكون عليهِ مانع واعطانا قول بذلك. وحرّرنا هذه الحجّة علينا برضانا وبتمام خواطرنا ونسمى قدامه حسب مقدورنا في اغراضهِ تحريرًا في نصف شهر تشرين الثاني سنة الف وسبعمائة وسبعين مسيحية .

صح + كاتبه

مكان الختم منصور الدحداح

صحّ : وهذا التسليم لحضرة الاب العام المذكور ومدبريه وخلفائهم من بعدهم يديروه كيفية دبورتهم»

ولما استلمته الرهبانية لم يكن فيهِ سوى بعض قلالي والكنيسة القديمة المتقدّم ذكرها فأحدث الرؤساء فيه بعض اصلاحات بسيطة وبقي من احقر الاديار واصغرها لا يسكنهُ غير عدد قليل من الرهبان. واذكر انني دخلتهُ مرةً قبل تجديد بنائهِ فأثّر فيَّ منظرهُ وحالتهُ الفقريّة وكدتُ ورفيقي لا نتسكن من المبيت فيه. وكان الرهبان يسمونه تصغيرًا وتحقيرًا له دير بنوت او دير البلّانة لكثرة ما حواليهِ من البلّان والاحراج الكثيرة الاشواك

واذ رأى الرؤساء حسن موقع الدير وقربه من مدينة جبيل على عزلته ووحدته وجهوا اليه العناية بتجديد بنائه وكان اول الساعين لذلك والشارعين به المرحوم الاب اسطفان البنا علي والاب نعمة الله الكفري بزيارته العامة على الرهبانية (المشرق٤[١٩٠١]: ٨٧٢)

---

١) هو اول رئيس عام على رهبانيتنا بعد القسمة وقد شغل عدة وظائف في الرهبانية ومكث رئيساً عاماً مدة اربعة مجامع متقطعة اي ١٢ سنة اولها ١٧٦٩ واخرها ١٧٩٦ وانشأ دير ميماد وبنى كنيسة دير بير سنين قرب بحدل عوش

وقد ساعدهما في العمل حضرة الاب يوسف رفول الاجيمي الذي رأس الرهبانية من السنة ١٩٠٤ الى ١٩١٠ ورئيس الدير وقتئذٍ المرحوم الاب حنا الشبطيني فقامت قلايه في ممشيين او رواقين من الجهتين الجنوبية والغربية على اقبية متينة. وبقي على هذه الصورة مدةً من الزمان لا يصلح الّا لسكن عدد قليل. ورغماً من عدم اتساعه وقلة مداخيله عيّنتهُ الزيارة الرسولية في السنة ١٩١٠ ديراً من جملة الاديار المخصصة لحفظ القوانين بالدقة والنشاط. واقامت عليه رئيساً حضرة الاب عبد الاحد مطر التنوري استاذ المبتدئين اليوم في دير كفيفان. وكان رهبانه عائشين العيشة المشتركة كما يفرضهُ القانون بالاقتصاد والمحبة الاخوية ويقومون بخدمة بعض الرعايا المجاورة لهم

٢ً دير سيدة المعونات مركز الرئاسة العامة

لم يكن مركز الرئيس العام في اول نشأة الرهبانية معيّناً في دير واحد بل كان يتغير ذلك المركز بتغير الظروف والاحوال كما يروي لنا تاريخ الرهبانية. فان البطريرك اسطفان الدويهي بعد ان قدم للمؤسسين دير مُرّت مورا قرب اهدن رأى ان عددهم يزداد فسلّمهم دير مار اليشاع في الوادي المقدس فجعلوهُ مركزاً عقدوا فيه مجامعهم الاولى وفيه انتخبوا في مجمعهم الاول في العاشر من تشرين الثاني الاب جبرايل حوا رئيساً عاماً. والاب عبدالله قرألي مدبراً ورئيساً على الدير نفسه. والاب فرحات مدبراً ورئيساً على دير القديسة مورا. وفي دير مار اليشاع عُقد المجمع الثاني العام في السنة ١٧٠٢ وفيه تجدّد انتخاب الاب عبدالله قرألي رئيساً عاماً اذ كان قد انتخب قبلاً بدلاً من الاب جبرايل حوا الذي عزل عن الرئاسة بمجمع خاص قبل اوان المجمع العام لانه كان يريد تحويل الرهبانيّة من نسكيّة الى رسولية بحتة

ثم انتقل مركز الرئاسة العامة على ما يظهر الى دير قزحيا بعد استلامه من المطران يوحنّا حبقوق البكفاوي الاصل فعقدت فيه المجامع السنة ١٧٠٨ و١٧١١ و١٧١٤ وفي كلها كان يجدّد الانتخاب للاب عبدالله قرألي (المشرق ١٠[١٩٠٧]: ٦٢٥ الخ)

ولما استلمت الرهبانية السنة ١٧٠٧ دير سيدة اللويزة (١ في معاملة كسروان

١) هو الدير الذي انعقد فيه المجمع اللبناني ١٧٣٦ موقعه على داية تشرف على البحر غير بعيدة عن الضيعة وهو الان مركز الرئاسة العامة للرهبانية الحلبية.

من مؤسسه الشيخ سليم من بيت الحاقلاني (زوق مصبح) عيّنه الرئيس مركزاً له بدلاً من دير قزحيا هرباً من جور الحكام وظلمهم في جهات الجبّة. وبعد قسمة الرهبانية الى حلبية وبلدية (١ سنة ١٧٦٨ جعل الرهبان اللبنانيون الذين تلقّبوا بالبلديين دير سيدة طاميش مركزاً لرئيسهم العام وهذا الدير وهبه لرهبانيتنا قبل القسمة المثلث الرحمات المطران جرمانوس فرحات في اواخر حزيران سنة ١٧٢٧ اذ كان قد جعله كرسيًّا لاسقفية حلب وقد أسسه المطران جبرايل البلوزاوي في السنة ١٦٧٣

واستمرّ دير طاميش مركزاً للرئاسة العامّة الى السنة ١٩١٣ التي فيها تسمّى من المجمع المقدّس حضرة الاب اغناطيوس التنوري المشهور بتقواه رئيساً عامًّا على الرهبانية. وكان قبل انتخابه معلماً للمبتدئين في دير كفيفان. وأعلنت الزيارة الرسولية تسميته في جلسةٍ حافلة في ديرسيدة نسبّيه بحضرة سيادة رئيس الزيارة الرسولية القاصد الرسولي فرديانو جيانيني وبوقتٍ تعيّن من المجمع المقدّس نفسه دير سيّدة المعونات مركزاً للرئاسة العامّة. على انهُ لم يكن بعدُ لائقاً بمثل هذا المركز من حيث بنائهِ وتجهيزهِ بالاثاث اللازم لكنهم اعتبروا فيهِ موقعهُ المتوسط بين اديار الرهبانيّة وقربهُ من الساحل. وقرّرت الزيارة في جلستها تلك ألّا يُجعل الدير الذي يُقيم فيه الرئيس العام ومدبروه رئيسٌ خاصٌ كما كانت العادة من قبلُ بل الرئيس العام نفسهُ يقوم مقام الرئيس الخاص وهو يعيّن للدير وكيلًا او نائباً عنهُ يُعنى بادارة الاملاك وقيام النظام الداخلي

ولمّا كانت حالة الدير على ما قدّمنا من الفقر وعدم اللياقة بمركز رئاسة الرهبانيّة اخذ الرئيس العام الحالي بواسطة ساعدهِ القويّة الاب الغيور العلّامة سرتيتوس طربيه الوكيل العام يُعنى بتحسين داخليّة الدير وتوسيعه واقام بنائه فاكمل اوّلًا المشى الشمالي الذي لم يكن بعدُ تمّا واقام لهُ في صدرهِ كنيسةً فخمة للجهة الشرقية تربط جناحيه القبلي والشمالي. ولا يقع عليها نظر الداخل حتى يرى فيها مسحةً من الفخامة على بساطة هندستها. وقد قام مذبحها الرخامي الكبير الى الجهة الشرقية في وسط حنيّةٍ على اسم السيدة العذراء ومن ورائهِ الموقه (الكرستيا) وفيه خزانة الآنية المقدسة على احسن

١) صارت هذه القسمة في دير حريصا للآباء الفرنسيسكان سنة ١٧٦٨ بحضور البطريرك يوسف اسطفان وقد اثبتها البابا اكليمنضوس الرابع عشر في ١٧٧٠

ترتيب والى جانبيه الايمن و لايسر نُصبت المذابح الصغيرة بسيطة الشكل نظيفة. وقد فُرش صحنها بالبلاط الرخامي الابيض ورُسمت على نوافذها الزجاجية الملوّنة صورتا القدّيسين بطرس وبولس في واجهتها الغربية وصورة القديس يوسف وانطونيوس الكبير ابي الرهبان وبولا اول الحبساء وصورة قلب يسوع الاقدس في الجانبين الجنوبي والشمالي. وهذه الصور كلها من صنع احد ابناء الرهبانية الاخ نعمة الله المادي الذي ابتدأ بدرس فنّ التصوير على جناب المصوّر الشهير في بيروت الخواجا حبيب سرور ثمّ اكمل درس هذا الفنّ في بلجيكا على اشهر المصوّرين وهو يتقن فنّ النحت ايضاً. واسام باب الكنيسة الكبير انبسطت ساحة الدير الداخلية الفسيحة وفُرشت بثعوب الزهور الملونة الاشكال والذكية الرائحة قامت في مقاطيع واحواض تدلّ على حسن ذوق في ترتيبها وهندستها وتسبّح بنضارتها وجمالها ربّ الخلائق الناظر من هيكله اليها. وكان المرحوم بولس الفلبوني رئيس جمعية الانفس المطهرة ووالد الاستاذ يوسف الفلبوني من اول المعتنين بتربية تلك الزهور وبزراعة بعض البقول والاشجار في خارج الدير وداخله اذ كان قد انحاز اليه واقام فيه مدة الحرب الكونية

وما كاد الرئيس العام يتمّ بناء الدير والكنيسة حتى شبّت نار الحرب وكان ما كان من امر ويلاتها وألم نكباتها. وكان موقف الرئاسة العامة في وسط تلك معمعة الضيق والشدة من اصعب المواقف واكثرها خطراً وحراجةً لانه فضلاً عن كونه مرجعاً لشؤون الرهبانية به تتعلق سياستها الخارجية والداخلية كان في الوقت نفسه موئلاً لجميع اللاجئين اليه من ابناء الطائفة وغيرها ممّن عضّهم الجوع او اضطرتهم حاجةٌ وداهمهم خطر.

ولمّا اشتدّت الضائقة واخذ منجل الموت يحصد الناس حصداً ألهم الله رجل الغيرة والهمة الناهضة حضرة الخوري بولس عقل وقتئذٍ (المطران بولس عقل اليوم) امين سر البطريركية المارونية ان يخوض غمار تلك المعمعة مفادياً بنفسه. وبعد ان طرق ابواب الكثيرين من ذوات الثروة في بيروت ولبنان ولم ينل منهم ما يفي بمراده فتح الله له باب المخابرة بطريقة سرّية مع حاكم جزيرة ارواد القومندان ألبر ترابو حاكم لبنان بعد الحرب فاتى حضرته اذ ذاك دير سيدة المعونات وكاشف الرئيس العام بما عنّ له وبوجوب استدراك الامر لحفظ ما بقي من الشعب المسكين المعرّض الى

الدمار والهلاك . وقال له : «ان لا سبيل الى النجاة الّا بالالتجاء الى الدولة الافرنسية» واقترح عليه عقد قرض مالي من الوزارة الخارجية الافرنسية بواسطة حاكم الجزيرة المشار اليه وذلك اقناء سند على الرهبانية بمبلغ كبير يكون مضموناً باملاك الرهبانية كلّها . فوقف الرئيس العام عند هذا الامر الخطير وقفة المتأمل الحائر . لكنه نظر الى حالة البلاد بعين الاشفاق وتغلبت عليه عاطفة الحنان فلم يتمالك من قبول ذلك رغم ما هنالك من عظم المسئولية والخطر الوشيك الهاوي بالرهبانية وبالبلاد بأسرها الى مهاوي الموت الزؤام بين ايدي جمال السفّاح . فتألّى الى الله تعالى واستسلم الى ارادته القدوسة . وقنأ انه بحسنة الفقراء والعيال التي ستنقذ من مخالب المنون يوفقه المولى الكريم الى ما به الخير والنجاة

وبعد استشارة غبطة السيد البطريرك الكلي الطوبى وسيادة القاصد الرسولي رئيس الزيارة الرسولية السامي الاحترام أقدم الرئيس العام على توقيع ذلك السند وسلّمهُ لحضرة الخوري بولس عقل الذي ارسله بطريقة خفية الى المسيو ترابو وهذا ارسلهُ في الحال الى الوزارة الخارجية فكان له اشدّ وقع وتأثير عند اولياء الامر في فرنسة صديقة لبنان ومحاميته القديمة . فتناقش المجلس في شأن ذلك واقرّ تخصيص مبلغ من المال يُرسل تباعاً عن يد حاكم جزيرة ارواد ليوزّع احساناً على فقراء الجبل . وهذه ترجمة السند المحكي عنه :

«نحن الموقعين بذيله الاب اغناطيوس التنوري رئيس الرهبانية البنانية المارونية العام نسأل الحكومة الافرنسية قرضاً قيمة مليون فرنك لكي يوزع على الفقراء والمحتاجين ونقدم ضمانة لهذا القرض املاك الرهبانية . وبما انه يتعذر علينا المخابرة رأساً مع الحكومة الافرنسية في الشروط اللازمة لهذا القرض نكلف جناب المسيو ترابو حاكم جزيرة ارواد الذي لنا فيه ملء الثقة ان ينوب عنا في هذا الامر . والضمانة المشار اليها في السند تقع على القيمة التي تصل وتعطي علماً بها تحريراً في تشرين الثاني سنة ١٩١٦

الاب اغناطيوس التنوري
اب عام لبناني

وبعد ان أطلعت الوزارة على هذا السند اكبرت تلك العاطفة وتأثرت لذلك الطلب فجادت على اصدقائها اللبنانيين بما امكنها من المال الذي كانت تقدمه عن

يد حاكم جزيرة ارواد وهذا يرسله بطريقة سرية الى معتمدين معينين من قبله ليُعنوا بتوزيعه على الفقراء والمحتاجين. وقد ارجعت الدولة الافرنسية السند الى حاكم الجزيرة الذي ما زال يحفظه بين اوراقه وقد وعد الرئيسَ العام بارجاعه اليه

ولمّا جاء الرئيس العام بيروت بعد الاحتلال لزيارة بعض المقامات الرسمية في فرصة الاعياد السنوية من السنة ١٩٢١ زار حاكم لبنان الكبير الفرمندان ترابو وهنّأ كلٌّ منهما صديقهُ بالنجاة من معركة الحرب الهائلة وبالفوز بالنصر الباهر. وشاء الحاكم ردّ الزيارة للرئيس العام في مدرسة الرهبانية اللاحقة بكلية القديس يوسف فاستُقبل بكل حفاوة واكرام وبعد خطاب الترحيب شكر للمُحتفين به واثنى على الاكليريكيين دعاة الدين وانصاره. ثم التفت الى الرئيس العام وقال له:

« من الثابت عندي انك كنت في ايام الحرب من اقرب المساعدين لنا على عمل الخير فاني احفظ لك عن ذلك اجمل ذكر. ولستُ انسى ذلك السند الذي ارسلتهُ اليَّ وبه تطلب مليون فرنك تستدينها لاجل اغاثة فقراء وطنك. فالحكومة الفرنسية مع تقديرها عملك لم ترضَ ان تكون اقلَّ كرماً منك فتبرّعت به. على ان فضلك ثابت ومستحق اعظم الثناء. فاني اشكر لك تكرارًا كل ما اصطنعتهُ ايام البؤس من الخير الى البؤساء المساكين. والاوراق التي ارسلتها اليَّ اثناء الحرب وانا في جزيرة ارواد لم تزل يدي وسارجعها اليك مشفوعة بالشكر لنجدتك على ابناء وطنك العزيز »

وقد علّقت جريدة البشير على هذا الخطاب في ٨ كانون الثاني سنة ١٩٢١ في عددها ٢٦٦٤ النصّ التالي:

« في تشرين الثاني ارسل حضرة الاب اغناطيوس التنوري الرئيس العام على الرهبانية البلدية المارونية يطلب من الحكومة الفرنسية ان تقرضهُ مبلغ مليون فرنك ليوزع على فقراء لبنان. وكلّف الفرمندان ترابو حاكم ارواد آنئذٍ ان يفاوض حكومتهُ بهذا الشأن. وارسل اليه سندًا موقعًا بامضائه وفيه يتعهد بقبول كل ما تشترطه الحكومة ويضع جميع املاك رهبانيته ضمانة لذلك القرض. فكان ان الحكومة الفرنسية لما رأت هذه الاريحية عمدت الى تقديم المبلغ المذكور لا قرضًا بل تبرعًا واخذت ترسل منهُ تباعًا الى الفرمندان ترابو وهو يوصله بواسطة معتمدين من قبله الى الفقراء والمحتاجين. فكان السعي المذكور من احدى مآثر الاب الرئيس العام العديدة في سبيل اغاثة فقراء البلاد »

على ان الدولة الفرنسية لم تتمكن من ارسال كل ما كانت قررته لما كان في طريقة ايصاله من الخطر. وكثيرًا ما تعرّض البحّارة الى الموت غرقًا او حرقًا بنار

الاعداء ليوصلوا تلك الحسنات والامانات الى مستحقي توزيعها . ومن اراد الوقوف على خطورة هذا الحادث التاريخي عليه بمراجعة المذكرات اليومية الكثيرة التي يحفظها سيادة المطران بولس عقل بحال تلك المركة منظمة بكل دقة و حرص ويكاد يؤلف منها مجلداً ضخماً وقد نشرت قسماً منها جريدة الوطن الغراء.

وكان ذلك الداهية والطاغية جمال باشا قد لحظ من بعض ما كان يجري حواليه من الحوادث انْ لا سهر ولا تشديد في بعض النقاط العسكرية المقامة على الشواطئ فاصدر اوامره مشددةً بهذا الشأن وأوجب تكثير الدوريات الليلية على السواحل . وقد غشيت الجنود مرارًا دير سيدة المعونات مدفوعين بوشاية الواشين او لمجرد وهم قام في رؤوس بعض الولاة من ذوي الاغراض والمطامع . فصدر الامر غير مرة بتفتيش الدير لانهم توهموا ان فيه تلغرافاً لاسلكياً به تصير المخابرة مع الدوارع الماخرة في عرض البحر فيطلع العدو على اخبار البلاد ويقف على حركات الجيش ومواضع الخنادق والتحصينات . وبعد التفتيش تبيّن ان ذلك وهمٌ لا حقيقة له . وكانوا يمنعون الرهبان من إشعال مصابيحهم ليلاً في قلاليهم المشرفة على البحر . واضطرَّ مرة احد الاخوة ان يسير بمصباحه لغرض يريدهُ خارج الدير في ليلة ممطرة فاتى الامر في صباح الغد من مدير جبيل مشدّدًا باطفاء جميع المصابيح ليلاً وذلك تحت اشدّ المسئولية

وقد طُلب الرئيس العام مرة الى جونية عند القومندان توفيق بك التركي ليؤدي جواباً عن اجد الآباء الرهبان وكان ذلك الطلب مُجحفاً بحق مقام الرئاسة ومؤثرًا في قلوب جمهور الدير وسكان مدينة جبيل فلم يحفل به الرئيس اذ كان مسلّماً امره لله تعالى في كل ما يحدث له فاتى جونية وعاد من عند القومندان مسرورًا موفقاً

وكان قد لاذ بالدير فرارًا من ظلم الاتراك والتجند لهم بعض ابناء البيوتات والعيلات المشهورة في الجبل منهم نجلا المرحوم فؤاد السعد شقيق سعادة حبيب باشا احد اعضاء مجلس الاعيان ونائب الرئيس فيه حالياً . وكان عمّهما نجيب بك قد اتى بهما الى الرئيس العام فقبلهما بتمام الارتياح واقاما كل مدّة الحرب متخفيَيْن بالثوب الرهباني انتحل احدهما راجي اسم الاخ يوسف والثاني امين اسم الاخ بولس وهو اليوم عضو مستنطق ونائب رئيس في محكمة الاستئناف ببيروت وقد نال مؤخرًا شهادة الاستاذية في الحقوق من جامعة باريس . وكان كلا الاخوين صابرًا على مضض تلك

الايام كل تلك المدة . وكان في رفقتها بضعة اشهر الدكتور روفايل صالحه من وجهاء صور والخواجا الياس كوسا شقيق حضرة الاب الفاضل كيرللس كوسا كاتب اسرار القصادة الرسولية في سورية

وكان حضرة الاب «متره» مدير المدرسة الاكليريكية الشرقية في كلية القديس يوسف قد طلب من الرئيس العام على اثر تسليم المدرسة الكلية للحكومة واقفالها ان يقبل عنده بين الاخوة الدارسين في ديره بعض الاكليريكيين الذين لم يتمكنوا من الذهاب الى بلادهم لان اكثرهم كانوا من الموصل وبغداد . فاجاب الرئيس طلب الدير بتمام الارتياح رغم كثرة جمهور الرهبان وقلّة الغرف المجهّزة لقبول اولئك التلاميذ الذين لم يكن عددهم ينقص عن العشرة اذ انضمّ اليهم غيرهم من رفقتهم اللبنانيين . وكان جمهور الدير في ذلك الحين مؤلفاً من حاشية الرئيس العام وهي المدبرون الاربعة والوكيل العام وكاتب الاسرار ومن الآباء مستلمي ادارة المدرسة كالمدير والاساتذة والاخوة العملة والرهبان الذين يتعاطون اشغال الدير الداخلية والخارجية مما لا يقلّ عن المئة نفس ما عدا الخدم والضيوف والفقراء الطارقين باب الدير في كل يوم . وكانوا جميعهم يعيشون رغم ضيق تلك الايام بالخير والبركة والطمأنينة شأن الاخوة يضمّهم بيت واحد . والرئيس العام كان لهم من اعطف الاباء واشفقهم يسير امامهم في جميع الواجبات صابراً وشاكراً الله تعالى وسلماً الى عنايته القدوسة في كل شيء .

وقد شكاه بعض الوشاة انه يقبل في ديره بعض الفارين من وجه السلطة فخاف من تلك الوشاية ولكن الله الذي القى كل اتكاله عليه خلّصه من تلك التهلكة وانقذه والرهبانية من الأهمّ منها . وما شعر مرةً بداهمة خطر او محنة الّا وهرع الى الكنيسة يناجي القربان المقدّس من اعماق القلب سائلاً مَلِك الحب والسلام ان يعيد الى العالم سلامه ويحفظ الكنيسة والطائفة وغبطته بطريركها المبجّل وساداتها والرهبانية وجميع ابناء البلاد من شر الحروب ويلاتها . وكان يستقبل جميع المحتاجين والفقراء المستغيثين به باحشاء الرحمة كاخوة يسوع المسيح ويحنّ اليهم ويحرم نفسه طعامها مرات ليقدّمهُ لهم . وقد وجّه رسالة مستفاضة الى ابناء الرهبانية ورؤساء اديارها ضمّنها خلاصة ما في قلبه الابوي من الشفقة على المساكين ومحرضاً الرؤساء على العناية بالبؤساء والتصدق عليهم . وكنت أودّ أن آتي على ايراد بعض مقاطيع من تلك الرسالة فاكتفي منها

لضيق المقام بهذه العبارة :

«وقد اوصيناكم ايها الآباء الاعزاء ان تقتصدوا في معاشكم وتقتروا على نفسكم لكي تتمكنوا من مساعدة بعض اهل الفاقة وسدّ رمقهم . وانا قد اجزنا من طيبة خاطر لكثير من الاديار بيع بعض ممتلكاتها وحاصلاتها وبذل كلّ ما استطاعت من الاموال في التصدق والاحسان ولم نبالغ بذلك الوطر اذ ضاق ذرعنا سدّ حاجات الالوف الطارقين بابنا . ولكنا اذا اعطينا الفقير والمحتاج ونحن لا نستطيع ان نكفيه كل حاجة نعطيه نصف نفسنا ونشركه بروحنا فكانت تعزية قلبنا بالاخص في تقديم الحسنة الروحية بتعزية الباكين ومواساة الحزانى ومداراة جراحات نفوسهم بلثم الارشادات الروحية . وقد تعزّت نفسنا ايضاً بتلبية الرؤساء والمرؤوسين اوامرنا وتوصياتنا بأن كرروا للفقراء ليس فقط الخبز المادي لحياة الجسد الفاني بل ايضاً الخبز الروحي لحياة النفس الخالدة »

ولو جئت اعدد مفصلاً جميع الحوادث المؤثرة التي كانت لها علاقة في مدة الحرب بمركز الرئاسة العامة والرسائل التي كانت ترده او تصدر عنه لاستلزم ذلك مجلداً ضخماً بل مجلدات فبالتلميح غنى (البقيّة للآتي)

نظر عام في احوال العالم

للاب لويس شيخو اليسوعي (تتمّة)

٢ اميركة الشماليّة والمركزيّة والجنوبيّة

﴿ الولايات المتحدة ﴾ بلغت من الرقي المادّي درجةً لم تبلغها دولة أخرى لا سيما بعد الحرب الكونية التي جعلت الدول الاوربية مَدينةً اليها بديون باهظة تنوء تحت عبئها . ويا ليت رقيّ البلاد الادبيّ يجاري ذاك الرقيّ المادّي . وهيهات فانّ ارباب الدنيا والدين كثيراً ما يأسفون على ما يجري في انحاء الدولة من تفاقم الشرور وتقهقر الآداب على الرغم من احتياطات اصحاب الامر

ولاميركة الشمالية اعداء اقرب اليها يحذرون نفوذها وبسط سيطرتها على اوطانهم . وزيد بهم اهل اميركة المركزيّة واميركة الجنوبية تودّ بلاد الشمال ان تنضمّ اليها البلاد الجنوبية لتقوى بها العصبية الاميركية لولا اختلاف المنصرين